والعدمية. ولذا فإن الإطار هنا إنساني هيوماني، والإنسان متمركز حول ذاته. ولكن هذه الثنائية، داخل الإطار العضوي المادي، واهية لأن الواحدية المادية تفرض ذاتها فتطبق الصورة المجازية العضوية على الكون بأسره، وهنا تصبح صورة مجازية عضوية شمولية، فيفقد الإنسان مركزيته وتميزه، ويصبح جزءاً من كل عقله تابع لا سيد، ويتلخص إبداعه في عملية التلقي الأصم لقوانين الطبيعة الحية، أي أن الصورة المجازية العضوية الشمولية تؤدي إلى التمركز حول الموضوع وإلى النزعة اللاإنسانية الشمولية. ويلاحظ أن الحركات الشمولية (النازية ـ الصهيونية ـ الماركسية) تدور في إطار النماذج العضوية، وكذا الفكر العرقي الغربي وأدبيات الإمبريالية، أما الليبرالية فتتأرجح بين نموذج عضوي شمولي ونموذج آلي.

**النموذج الآلي والنموذج العضوي الشمولي: مواطن التشابه:**

يمكننا الآن أن نجري مقارنة بين الرؤية العضوية الشمولية والرؤية الآلية (الماديتان الواحديتان) لنكتشف مدى التشابه بينهما:

١ ـ النموذج المادي العضوي الشمولي، تماماً مثل النموذج المادي الآلي، نموذج مادي كموني (أي مركزه كامن فيه) يدور في إطار المرجعية الكامنة، ويصدر عن فكرة وحدة الوجود الطبيعية المادية. وبالتالي، لا يوجد في نهاية المطاف، وفي التحليل الأخير، سوى قانون واحد (عضوي أو آلي) يسري على كلٍّ من الطبيعة والإنسان. ومصدر التماسك في النموذجين الآلي والعضوي هو المبدأ المادي الواحد (الدافع للمادة آليًا، والكامن فيها عضويًا).

٢ ـ النموذج المادي العضوي الشمولي، تماماً مثل النموذج المادي الآلي، متَّسق ونفسَه، متماسك، خاضع لقوانين ثابتة مطردة حتمية توجد داخل الظاهرة أو خارجها. وإن وجدت خارج الظاهرة، فهي تظل جزءاً من النظام الطبيعي (المادي). وقد تكون هذه القوانين مبهمة غامضة ومحفوفة بالأسرار في حالة النموذج العضوي، وواضحة وجلية في حالة النموذج الآلي. ولكنها، في كلتا الحالتين، قوانين ثابتة تكتسح الإنسان، وتفقده حدوده وهُويته.